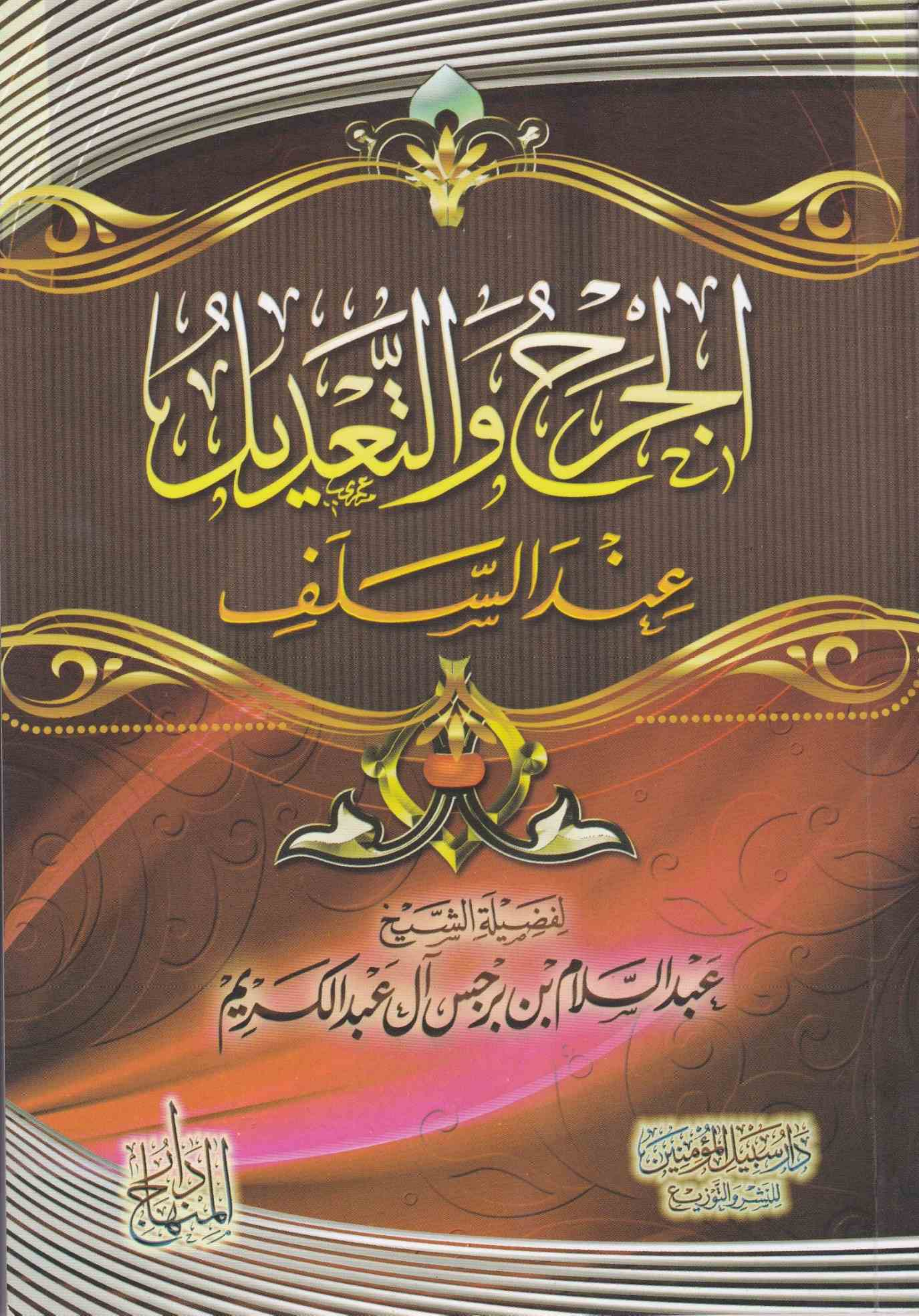
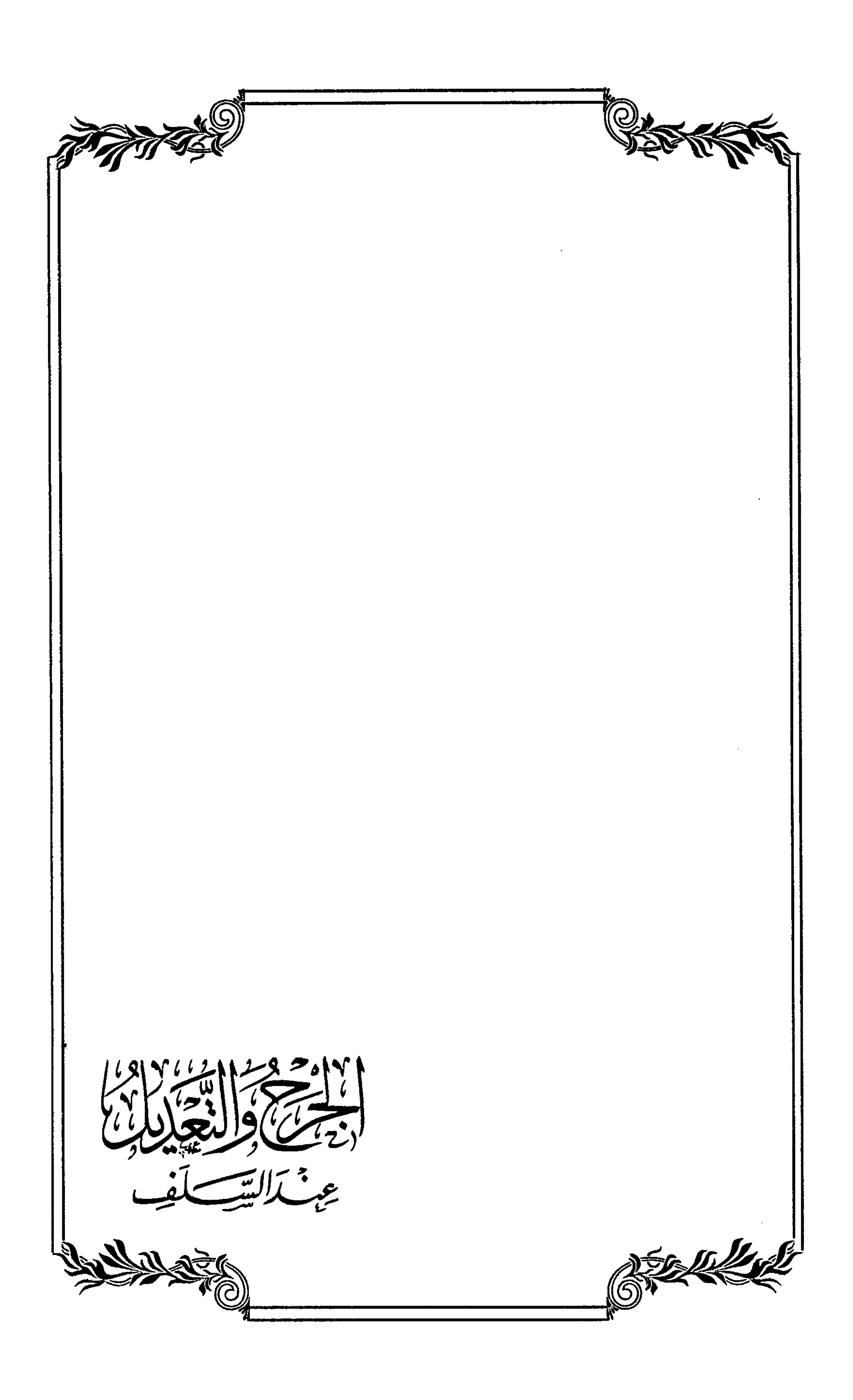

الجرح والتعديل
عند السلف
لفضيلة الشيخ
عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم
دار سبيل المؤمنين
للنشر والتوزيع
دار المنهاج

مصورات

أبي عبد الرحمن السلفي

الفلسطيني


الجرح والتعديل
عند السلف



الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

رقم الإيداع: ٢٠١٢/١٧٥٠٧



شارع الهدي المحمدي - من أحمد عرابي - مساكن عين شمس
القاهرة - جمهورية مصر العربية
جوال: ٠٠٢/٠١٢٨٨٨٨ ٤٠ ٨١ - ٠٠٢/٠١٢٨٨٨٨ ٤٠ ٧٨ - ٠٠٢/٠١٢٨٨٨٨ ٤١ ١٣
E-Mail : daralmenhaj@hotmail.com
daralminhaj@yahoo.com



عين شمس - القاهرة - جمهورية مصر العربية
جوال: ٠٠٢٠١٠٠٧٦١٠٠٩٩ — ٠٠٢٠١١٤٠٦١١٠٠٩٩
البريد الإلكتروني:
Dar_sabilelmomnen@yahoo.com
Dar_sabilelmomnen@hotmail.com





الجرح والتعديل

عند السلف

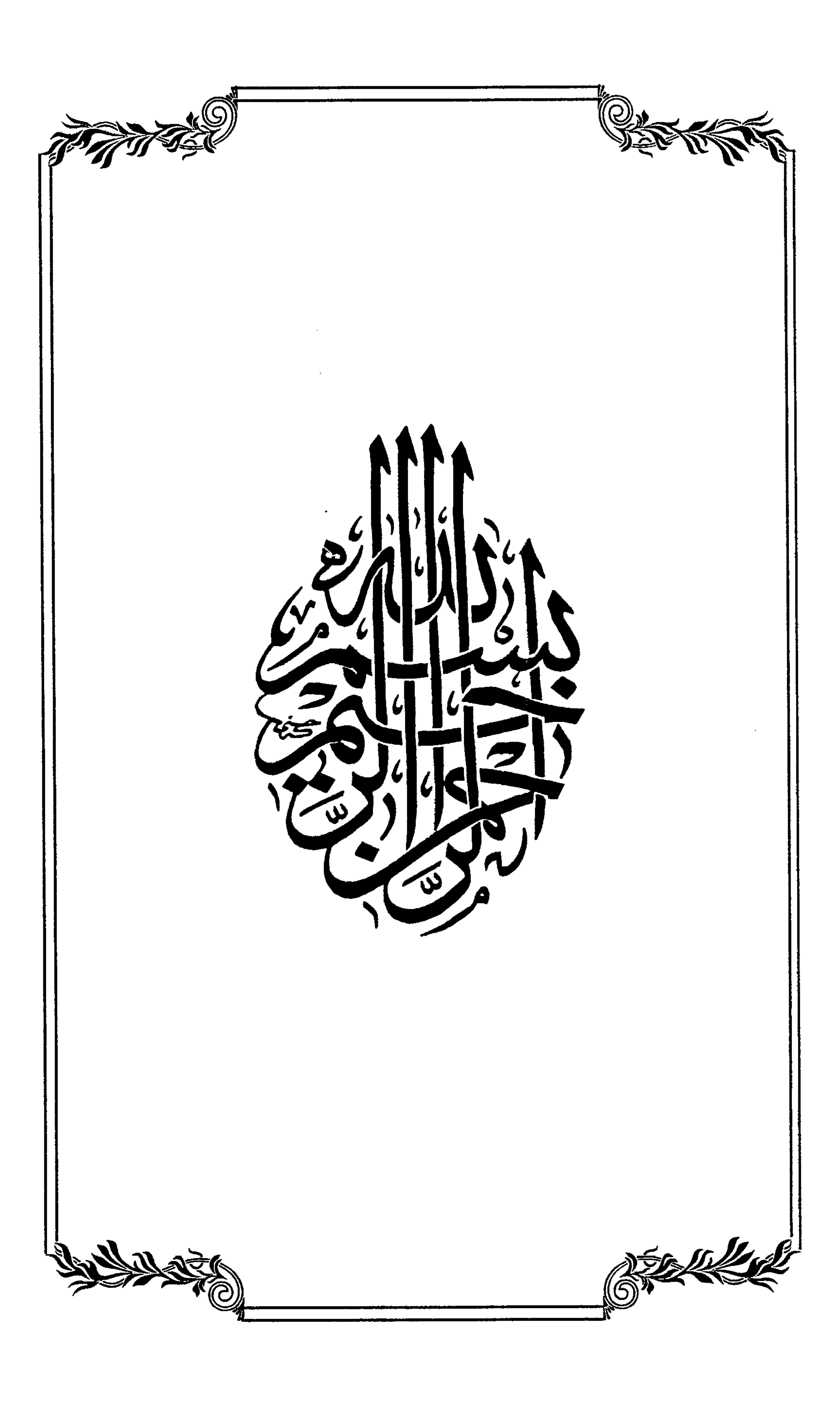
تأليف

فضيلة الشيخ

عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم

دار سبيل المؤمنين للنشر والتوزيع




بسم الله الرحمن الرحيم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة الناشر

إنَّ الحَمدَ لله، نَحمَدُهُ، وَنَستَعِينُهُ، وَنَستَغفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنفُسِنَا وَمِن سَيِّئَاتِ أَعمَالِنَا، مَن يَهدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُضلِل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَن لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أَمَّا بَعدُ: فَإِنَّ أَصدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيرَ الهَدي

هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ، وَكُلَّ بِدعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

وبعد:

فإن للأمة الإسلامية خصائص دوَّنها العلماء في مصنفاتهم، ومن أهم هذه الخصائص خصيصة «الإسناد»، أي: إسناد القول إلىٰ قائله، أي: حكايته عنه مسندًا.

وعن طريق الإسناد نصل إلىٰ قول النبي ﷺ، وبه نُميِّز الصحيح من السقيم؛ لذلك حاز الإسناد منزلة كبيرة في دين الله تعالىٰ، حتىٰ قال عبد الله بن المبارك: «الإسناد عندي من الدين؛ لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء، ولكن إذا قيل له: مَن حدثك؟ بقي»(١).

ومعنىٰ «بقي»، أي: بقي متحيرًا لا يدري ما يقول؛ لأنه لا إسناد معه يُعرف به صحة الحديث أو ضعفه.

وسنة النبي ﷺ لا يُعرف ثبوتها إلا بنقل الثقة عن نظيره من أول السند إلىٰ منتهاه.

---

(١) «تاريخ بغداد» (٧/ ١٠٢).

وإذا عُلم أهمية الإسناد واختصاص الأمة المحمدية به؛ فإن السُّنَّة المُشرَّفة التي تنقسم إلىٰ أقوال رسول الله ﷺ، وأفعاله، وتقريراته- قد دُوِّنت مسندة في كتب الحديث بأنواعها.

ولأهمية الإسناد ومكانته وجبت العناية برجاله الذين ينقلونه طبقة بعد طبقة، وقد كتبت في أحوالهم مُصنفات شتىٰ متداخلة ومتباينة، وأفرد لبيان أحوالهم علم خاص هو علم «الجرح والتعديل».

وأمكن لعلماء الحديث بواسطة هذا المنهج العلمي المتميز معرفة الصحيح من الضعيف، وما يُقبل من الأحاديث وما يُرد.

فقد كان السلف رحمهم الله يتعرفون علىٰ من ينقلون عنه؛ فقد أخرج مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة «صحيحه» عن محمد بن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: «إن هذا العلم دين؛ فانظروا عمن تأخذون دينكم»[١].

وقال محمد بن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا: «لم يكونوا يَسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سَمُّوا لنا رجالكم! فيُنظر إلىٰ أهل السُّنَّة فيُؤخذ حديثهم، وينظر إلىٰ أهل البدع فلا يُؤخذ حديثهم»[٢].

---

(١) أخرجه مسلم في مقدمة «صحيحه» (١/ ١٤).

(٢) أخرجه مسلم في مقدمة «صحيحه» (١/ ١٥).

ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها؛ فلا يظنن ظانٌّ أن هذا العلم (الجرح والتعديل) خاص بنقل الحديث وروايته، بل يجب أن نعمل به في كل المجالات التي تهم الأمة الإسلامية ، فيعرف ما للرجل من حق، وما عليه من مثالب وقدح، حتىٰ لا نتخبط في أحكامنا علىٰ الرجال، وذلك بأن يؤخذ العلم عن رجل دهرًا من الزمان، ثم يكتشف بعد فوات الأوان أنه داعية إلىٰ بدعة، أو صاحب هوىٰ، وليس بصاحب هدي وسُنَّة.

وعليه فلابد من استعمال هذا العلم بحكمة ودراية؛ فيُجرَّح الرجل أو يُعدل بنزاهة وأمانة من أهل العلم الثقات المشهود لهم بأنهم أرباب هذا العلم، من غير هوىٰ ولا عاطفة، وبالحجة القوية الراسخة.

هذا وقد شَنَّع علىٰ اشتغال بعض أهل العلم بهذا الفن في هذا الزمان أناسٌ قصروه علىٰ الرُّواة، ولم يَجدوا له مَساغًا في كل من تكلَّم في دين الله؛ ليقول من شاء في دين الله ما شاء، ثم ليمضي بعد ذلك آمنًا مُطمئنًا من الحساب أو حتىٰ العِتاب، ولا تُبيَّن للناس أخطاؤه، ولا يُعرَّىٰ ما بثَّه من أفكار مسمومة ودعوات

هدامة ليست في دين الله في شيء، وإنما هي مستوردة من الشرق أو من الغرب.

فهل يرضىٰ أحد من السلف بذلك؟!

وهل يُحفظ الدِّين بهذا؟!

أم لابد من الدِّين من قوة تَحميه، وثلة من الرجال يَذودن عن بَيْضته وحِماه!

وقد وفَّق اللهُ فضيلة الشيخ عبد السلام بن برجس رَحِمَهُ ٱللَّهُ لبيان وسطية أهل السُّنَّة في تعاملهم مع هذا العلم (الجرح والتعديل)، إذ راعه في هذا الزمن انقسام الناس فيه إلىٰ فريقين:

أحدهما: أطلق للسانه العنان في جرح الأشخاص والكتب والحكم عليهما دون برهان، وبغير حجة، وعلىٰ غير علم.

والآخر: أطلق للسانه العنان في مدح الأشخاص والكتب والثناء عليهما، وتوثيقهما دون برهان، وعلىٰ غير علم، وبغير حجة.

ثم بيَّن خيانة من يفعل ذلك للأمة، وذلك لما يترتب علىٰ هذا الجرح وعلىٰ هذا التعديل الباطلين من المفاسد العظيمة في الدين والدنيا.

ثم ذكر ضابط الإمام البربهاري في كتابه «شرح السُّنَّة» في هذا الشأن، وهو قوله: «لا يَحِل لرجل أن يقول: فلان صاحب سنة- حتىٰ يَعلم أنه قد اجتمعت فيه خصالُ السُّنَّة، فلا يقال له: صاحب سُنَّة حتىٰ تجتمع فيه السُّنَّة كلها»(١).

وأوضح أن المبتدعة المخالفين للفرقة الناجية هم من خالفوهم في أمور، هي:

الأمر الأول: في معنىٰ كلي في الدين.

الأمر الثاني: في قاعدة من القواعد الشرعية.

الأمر الثالث: في فروع كثيرة من الشرع.

وحذرَ من الجلوس مع أهل البدع، ومن الاغترار بما عندهم من العلم، فإن ما عند أهل السُّنَّة أكثر وأنقىٰ بإذن الله تعالىٰ.

إلىٰ غير ذلك من هذه المسائل المهمة والضوابط الجليلة التي بيَّنها الشيخ عبد السلام بن برجس رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه المحاضرة الرائعة.

---

(١) «شرح السنة»، للبربهاري (ص ٥٧).

ونظرًا لأهمية هذه المحاضرة ولما حَوَته من هذه الأصول المُهمة والحُجج القويَّة قمنا -بفضل الله تعالىٰ- بتفريغها وتحقيقها تحقيقًا علميًّا يليق بها وبمكانة الشيخ عبد السلام بن برجس العبد الكريم رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لتخرج في هذه الحلة البهية.

واتبعنا في ذلك المنهج العلمي الآتي:

١- تفريغ المحاضرة تفريغًا جيدًا، ثم مقابلة المحاضرة علىٰ المكتوب؛ ومراجعتها مراجعة علمية ولغوية دقيقة جدًّا.

٢- تفريغ كلام الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ وإثباته كما هو بنصِّه، إلا ما تَعَارف عليه أهلُ العلم في التفريغ من حذف بعض الكلمات أو الجمل المُكررة، أو إعادة ترتيب لبعض الجمل، أو إضافة بعض الكلمات؛ لإيضاح المعني واستقامته، وهذا في الغالب قليل جدًّا.

٣- عمل ترجمة للشيخ عبد السلام بن برجس العبد الكريم رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤- إثبات الآيات القرآنية بالرسم العثماني، وعزوها إلىٰ مواضعها في المصحف الشريف.

٥- تخريج الأحاديث بمنهج موحَّد، وقد اعتمدنا في التخريجات علىٰ كتب الحديث ذات الترقيمات المعتمدة؛

كترقيم محمد فؤاد عبد الباقي رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد اكتفينا بتخريج الحديث إنِ كان في الصحيحين أو في أحدهما بذكر رقمه، وإن كان في غيرهما أوردنا حُكم الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ عليه غالبًا.

٥- تخريج الآثار من كتب التفاسير وكتب السُّنَّة، وعزو النقولات إلىٰ مصادرها من كتب أهل العلم.

٦- أثبتنا الأحاديث التي أوردها الشيخ أثناء التعليق بالمعنىٰ من كتب السُّنَّة بألفاظها؛ لتتضح الفائدة من ذِكرها.

٧- شرح الغريب من كتب الشروح المُعتمدة وكتب اللغة، وإضافة بعض التعليقات اللازمة ليكتمل المعنىٰ، وبعض العناوين ليستطيع القارئ أن يصل إلىٰ بُغيته بيُسر.

والله من وراء القصد، وهو المُوفِّق والهادي إلىٰ سواء السبيل.

وصلىٰ الله علىٰ نَبيِّنا مُحمَّدٍ، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين

الناشر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ترجمة فضيلة الشيخ عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم

اسمه ونسبه:

هو الشَّيخ الفاضل الفقيه، والعالم الأصوليُّ النَّبيه؛ أبو عبد الرَّحمن عبد السَّلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم.

مولده ونشأته وبداية طلبه للعلم:

وُلد رَحِمَهُ اللَّهُ في عام (١٣٨٧هـ)، بمدينة الرِّياض؛ عاصمة المملكة العربيَّة السَّعوديَّة، حرسها الله وسائر بلاد المسلمين من كلِّ سوءٍ.

وَقَدْ نشأ في بيت ديانةٍ وصلاحٍ، وَتَميَّز رَحِمَهُ اللَّهُ منذ صغره بالذَّكاء والحَزْم، والجدِّ والاجتهاد؛ فحفظ القرآن، وبدأ يطلب العلم وهو في الثَّالثة عشرة من عُمُره، فَلقِي من مشايخه العناية

والاهتمام؛ لما لمسوه من فضيلته من علامات التَّميُّز والنُّبوغ.

فـ«اشتهر رَحِمَهُ ٱللَّهُ منذ حداثته بفطنته وذكائه، ورغبته الشَّديدة في طَلَب العلم وتحصيله، فتوفَّرت له البيئة الصَّالحة، والرَّغبة الشَّديدة في طلب العلم، فاجتهد في طلب العلم، وَجَدَّ فيه، وسهر اللَّيالي، وواصل الأيَّام، ومضىٰ في طريقه قُدُمًا لا يرغب في شيءٍ غير العلم، ولا يريد شيئًا غير تحصيل العلم، فلا يكاد الواصفون يصفون شدَّة حِرْصِهِ وإقباله علىٰ العلم والتَّعلُّم، وهكذا نال حظًّا وافرًا من العلوم الشَّرعيَّة»(١).

«وكان يواظب علىٰ دروس العلماء، وعلىٰ مَنْ يشعر أنَّه له منه أدنىٰ فائدةٍ؛ طارحًا التَّحيُّز والتَّرفُّع، وواصل وثابر، وبذل جهده في سبيل ذلك حتَّىٰ نال في صباه ما لا يناله غيره في زمنٍ طويلٍ من علومٍ كثيرةٍ، وفنونٍ مختلفةٍ، ولم يقتصر في طلبه للعلم علىٰ فنٍّ واحدٍ، بل قرأ في فنونٍ كثيرةٍ؛ فقرأ في الحديث والعقائد والفقه والأصول والمصطلح وعلوم اللُّغة وغيرها»(٢).

---

(١) «إتحاف النبلاء» للشيخ راشد الزهراني سدده الله (١/ ٤٥).

(٢) «إتحاف النبلاء» (١/ ٤٦، ٤٧).

وقَدْ ذكر بعض الإخوة مِمَّن عرف الشَّيخ عبد السَّلام رَحِمَهُ اللَّهُ؛ أنَّه كان يحفظ بعض المتون العلميَّة عن ظهرِ قلبٍ.

منها: «بلوغ المرام» للحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ، و«زاد المستقنع» للحجَّاوي رَحِمَهُ اللَّهُ، و«القصيدة النونيَّة» لابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ، و«الألفيَّة في النَّحو» لابن مالك رَحِمَهُ اللَّهُ.

دراسته النظامية:

تلقَّىٰ رَحِمَهُ اللَّهُ تعليمه بمدينة الرِّياض؛ فبعد المرحلة الابتدائيَّة الْتَحَق بالمعهد العلميِّ التَّابع لجامعة الإمام محمَّد ابن سعودٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، ثمَّ الْتَحَق بكليَّة الشَّريعة من نفس الجامعة، فتخرَّج فيها في عام (١٤١٠هـ).

ثمَّ الْتَحَق بالمعهد العالي للقضاء، وتحصَّل فيه علىٰ درجة الماجستير برسالة بعنوان: «التَّوثيق بالعقود في الفقه الإسلاميِّ».

ثمَّ تحصَّل علىٰ درجة الدكتوراه عام (١٤٢٢هـ)، وكانت رسالته عبارةً عن تحقيقٍ لكتاب: «الفوائد المنتخبات شرح أخصر المختصرات» للشَّيخ عثمان بن جامع (م ١٢٤٠هـ) بالاشتراك.

مشايخه رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١- سماحة الشَّيخ العلَّامة إمام أهل السُّنَّة والجماعة في زمانه عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ (م ١٤٢٠هـ).

٢- الشَّيخ فقيه الزَّمان العلَّامة الأصوليُّ محمد بن صالح ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ (م ١٤٢١هـ).

٣- فضيلة الشيخ العلامة المحدث أحمد بن يحيىٰ النَّجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٤- فضيلة الشَّيخ الدكتور عبد الله بن عبد الرَّحمن بن جبرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لازمه أربع سنواتٍ.

٥- الشَّيخ المحدِّث العلَّامة عبد الله الدويش رَحِمَهُ ٱللَّهُ (م ١٤٠٩هـ)؛ قرأ عليه في فترة الإجازات النِّظاميَّة في بريدة.

٦- فضيلة الشَّيخ العلامة الفقيه صالح بن عبد الله الأطرم رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ قرأ عليه في كلِّيَّة الشَّريعة.

٧- فضيلة الشَّيخ فهد الحمين - حفظه الله -؛ قرأ عليه في التَّوحيد والفقه.

٨- الشَّيخ الفقيه الأصوليُّ العلَّامة عبد الله بن عبد الرَّحمن ابن غديان رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ درس عليه في المعهد العالي للقضاء.

المناصب التي تقلدها:

١- عُيِّن مُدرِّسًا في المعهد العلميِّ بالقويعيَّة (١٧٠ كم غرب الرِّياض)، وهذا بعد تَخرُّجه في كلِّيَّة الشَّريعة عام (١٤١٠هـ).

٢- عُيِّن قاضيًا بوزارة العدل، ولكنَّه طلب الإعفاء.

٣- ثمَّ رشِّح في ديوان المظالم بمدينة جُدَّة، فلم يمكث فيه إلَّا أسبوعًا واحدًا، فتركه رغبةً في السَّلامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٤- ثمَّ عاد مُحاضرًا في المعهد العالي للقضاء بالرِّياض.

٥- ثمَّ عُيِّن أستاذًا مساعدًا بعد نَيْله لدرجة الدكتوراه، ولم يزل في منصبه حتَّىٰ وافته المَنيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، جعل اللهُ كلَّ ما قدَّمه في ميزان حسناتِهِ يومَ القيامة.

من مؤلفاته:

١- «الحجج القوية علىٰ أن وسائل الدعوة توقيفية».

٢- «معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسُّنَّة».

٣- «منهاج أهل الحق والاتباع».

٤- «الأحاديث النَّبويَّة في ذمِّ العنصريَّة الجاهليَّة»، ط. بتقديم معالي الشَّيخ د/ صالح الفوزان.

٥- «الإعلام ببعض أحكام السَّلام»، ط. في كُتيِّبٍ لطيفٍ.

٦- «الأمر بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم والتَّحذير من مفارقتهم».

٧- «إيقاف النَّبيل علىٰ حكم التَّمثيل».

وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ:

تُوفِّي الشَّيخ عبد السَّلام بن برجس رَحِمَهُ اللَّهُ مساء يوم الجمعة (١٢صفر١٤٢٥هـ)، وهذا في حادث سَيَّارةٍ إثر ارتطامه بأحد الجِمَال السَّائمة في طريق عودته إلىٰ الرِّياض قادمًا إليها من الإحساء، فرحمه الله رحمةً واسعةً.

وكان عُمُره حين وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ (٣٨) عامًا[١].

موقع الشيخ:

www.burjes.com

(١) هذه الترجمة مستلة من «نزهة الأنفس في سيرة الشيخ عبد السلام بن برجس» إعداد/ فريد المرادي.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّدًا عبده ورسوله - صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ

لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإننا في هذا الزمن الذي ظهرت فيه بوادر الفتنة، والتبس فيه الحق بالباطل عند كثير من الناس لَنشكو ونتوجع ونتألم من فريقين من الناس.

الفريق الأول: أطلق للسانه العنان في جرح الأشخاص والكتب والحكم عليهما دون برهان، وبغير حجة، وعلىٰ غير علم، فيحكم علىٰ هذا الشخص بالكفر، وعلىٰ هذا الكتاب بالضلال، وعلىٰ هذا الشخص بالابتداع، وعلىٰ الآخر بالفسق، وعلىٰ الآخر بالعمالة الدنسة، وهلم جرًّا، غير واضع نصب عينيه قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق:١٨]، وقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء:٣٦]، وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الحجرات:٦].

الفريق الثاني: أطلق للسانه العنان في مدح الأشخاص والكتب والثناء عليهما، وتوثيقهما دون برهان، وعلىٰ غير علم، وبغير حجة، فتراه يمجد أهل الأهواء والبدع ويخلع عليهم الألقاب الرفيعة العلية، ويمدح أيضًا ويثني ويوصي بكتبهم خيرًا.

ومما لا ريب فيه أن أهل العلم -رحمهم الله تعالىٰ- مجمعون علىٰ أن تزكية مَنْ ليس أهلًا للتزكية، وجرح من ليس أهلًا للجرح خيانة للأمة، وغشٌّ لها، بل وجريمة شنيعة، وظلم مِنْ كل وجه؛ وذلك لما يترتب علىٰ هذا الجرح وعلىٰ هذا التعديل الباطلين من المفاسد العظيمة في شؤون الدين والدنيا.

ولذلك كان السلف -رحمهم الله- في غاية الورع عند التكلم في هذه القضايا؛ لعلمهم بما سيلحقهم من تبعةٍ إذا تكلموا بغير عدل، وبغير علم، فتراهم لا يصدرون أحكامهم إلا بعد التروي والمشاورة والنظر، وقبل ذلك مراقبة الله ﷻ، ورؤية الوقوف بين يديه ﷿.

كلام قيم للإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مسألة الجرح والتعديل

وقد سطر الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلامًا متينًا، وضابطًا جميلًا في هذا الباب يجب أن يكون الآن نصْبَ عينيّ كلِّ من تكلم فيه، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «تذكرة الحفاظ» في ترجمة أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «فحق علىٰ المحدث أن يتورع في ما يؤديه، وأن يسأل أهل المعرفة والورع؛ ليعينوه علىٰ إيضاح مروياته، ولا سبيل إلىٰ أن يصير العارف الذي يزكي نَقَلة الأخبار ويجرحهم جهبذًا إلا بإدمان الطلب والفحص عن هذا الشأن، وكثرة المذاكرة والسهر، والتيقظ والفهم مع التقوىٰ والدين المتين، والإنصاف، والتردد إلىٰ مجالس العلماء، والتحري والإتقان، وإلا تفعل:

فَدَعْ عنك الكتابةَ لستَ منها ولو سَوَّدت وجهَك بالمِداد[1]

(١) «تذكرة الحفاظ»، للذهبي (١/ ١٠).

ثم يقول: «فإن آنست يا هذا من نفسك فهمًا وصدقًا ودينًا وورعًا؛ وإلا فلا تتعبنَّ، وإن غلب عليك الهوىٰ والعصبية لرأي ولمذهب فبالله لا تتعب، وإن عرفت أنك مخلِّط مخبط مهمل لحدود الله فأرحنا منك، فبعد قليل ينكشف البهرج[1]، وينكب الزغل[2]، ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر:٤٣]»، انتهىٰ كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3].

وهذا الكلام من هذا العالِم مبنيٌّ علىٰ الشروط التي وضعها أهل العلم فيمن يحق له أن يتصدىٰ للجرح والتعديل، وهي شروط كثيرة؛ منها -وهو ما يهمنا في هذا الزمن: معرفة أسباب الجرح والتعديل؛ فيجب علىٰ مَنْ نصَّب نفسه لهذا الأمر أن يعرف الأشياء التي تكون مبررًا لجرح هذا أو لتوثيق هذا، فمن لم يكن عارفًا بهذه الأسباب فلا عبرة بتوثيقه، كما لا عبرة بجرحه أيضًا.

(١) البهرج: الباطل.

(٢) الزغل: الغش.

(٣) «تذكرة الحفاظ»، للذهبي (١/ ١٠).

➢ الانتفاع والشهرة غير كافيين في التعديل:

فالذي -مثلًا- يُوثق رجلًا، أو يثني عليه، أو يمدح كتابًا ويوصي به بناءً علىٰ أنه قد انتفع به الناس، ووصل إلىٰ الشرق والغرب، فمدرك هذا التوثيق لا يكفي وحده لخلع هذه الصفات علىٰ هذا الكتاب أو علىٰ هذا الشخص؛ لأن الانتفاع كما يكون بكتب أهل السُّنَّة عند أهلها، وبأشخاص أهل السُّنَّة عند أهل السُّنَّة، فإنه يكون كذلك بكتب المبتدعة عند أهلها، وبأشخاص المبتدعة عند أهل البدع.

ولنضرب مثلًا في الأشخاص، ومثلًا في الكتب يجلِّي هذا الأمر ويوضح خطأ التعديل بمثل هذه المدارك.

➢ مثال الأشخاص: أبو الأعلى المودودي:

فمثال الأشخاص: الأستاذ أبو الأعلىٰ المودودي: هذا الرجل خرج في الهند، ودعا إلىٰ الإسلام: وألَّف كتبًا كثيرة، وكون جماعةً إسلاميةً، وقد انخدع به كثير من الناس لا سيما مَنْ في هذه الجزيرة العربية وظنوه مجددًا من المجددين لدين الإسلام، وسبب هذه الثقة بهذا الرجل هو ذلك المدح

الذي عُلِّق علىٰ هذين الأمرين: علىٰ انتشار كتبه، وعلىٰ انتفاع الناس به، وقد ضل المادح والمثني؛ لأن النفع كما يكون في الخير فقد يكون في الشر، فأهل البدع في تصورهم أنهم قد انتفعوا بعلمائهم وبكتبهم.

ولنكشف حقيقة هذ التوثيق الذي خُلع علىٰ مثل هذا الرجل الذي بلغ مبلغًا عاليًا في الانحراف عن السُّنَّة؛ لكي نكشف هذا الأمر، فبين يدي الآن كتاب لأحد المحدثين من علماء الهند وهو الشيخ محمد يوسف البنوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ واسم كتابه: «الأستاذ المودودي وشيء من حياته وأفكاره»، فيقول في آخر الكتاب:

«وفي ختام هذه المقدمة نأتي بقرار اتخذه أكابر العلماء وجهابذة الدين في حق الأستاذ المودودي وجماعته ودستورها في ٢٧ من شوال سنة ١٣٧٠هـ في دلهي في مكتب جمعية العلماء، وقد اتفق أكابر علماء الدين علىٰ هذا القرار، وفيهم مثل شيخ الإسلام السيد حسين أحمد المدني رئيس أساتذة دار العلوم بديوبند، ومثل المحقق مفتي الهند الأكبر الشيخ محمد كفاية الله الدهلوي، ومثل حكيم الإسلام

الشيخ القاري محمد طيب الديوبندي مدير دار العلوم الديوبندية، وفيهم الشيخ عبد الله المحدث مدير مظاهر العلوم في سهارنفور، وفيهم شيخ الحديث الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي الصديقي صاحب «أوجز المسالك شرح الموطأ لمالك»، وفيهم الشيخ أحمد سعيد خطيب الهند سكرتير جمعية العلماء، وفيهم الشيخ سعيد أحمد المفتي في مظاهر العلوم، وغيرهم من أصحاب مراكز العلم والفتوىٰ.

وهؤلاء الأكابر أعيان هذه البلاد، وأعلامها علمًا وفقهًا ودينًا وتقوىٰ، وكان أصبح عليهم مدار الفتوىٰ، وهذا نص القرار المترجم إلىٰ العربية يقولون فيه:

«إن مطالعة تآليف المودودي وحزبه (الجماعة الإسلامية) تجعل الناس في حرية من اتباع أئمة الدين، وألا يبقىٰ لهم صلة بهم، وهذا مما يهلك العامة، ويضلهم ضلالًا، ووسيلة لانتقاص صلة المسلمين بصحابة رسول الله ﷺ، والسلف الصالحين، وإن كثيرًا من تحقيقاته وأفكاره الخاطئة إذا اتخذها الناس تكون وسيلةً لفقهٍ جديدٍ، وإحداثًا في الدين، وبدعةً في الإسلام باليقين، وهذا في غاية الضرر في الدين، فنحن نقول

بكل صراحة: إن كل حركة تحوي أمورًا مثل هذه خطأ يضر المسلمين، ونعلن براءتنا من هذه الجماعة ومن هذه الحركة».

ثم يقول المؤلف (ص٥٠) من الكتاب المذكور: «إن مركز الفتوىٰ في الهند ورئاسة دار الإفتاء في دار العلوم في ديوبند أصدرتا الفتوىٰ في الأستاذ المودودي وجماعته، وهاكَ نصَّ الفتوىٰ مترجمًا إلىٰ العربية:

«يجب علىٰ المسلمين أن يجتنبوا الجماعة الإسلامية، وإن المشاركة فيها سمٌّ قاتل، وعلىٰ المسلمين أن يكفوا الناس عن المشاركة فيها؛ لكي لا يضلوا، وضرر الجماعة أكثر من النفع، فلا يحل شرعًا المساهمة فيها، وكل مَنْ أيدها وأعانها بالنشر والإشاعة يكون آثمًا، ويكون داعيًا للإثم والمعصية بدل أن يكون مثابًا، ومن كان منهم إمامًا في مسجد تُكره الصلاة وراءه». اهـ.

هكذا يقول علماء الهند ومفتو الهند في مثل هذا الرجل، ويجعلون الإعانة علىٰ تأييده إثمًا مع أنه يدعو إلىٰ الإسلام، وما ذلك إلا لأنه دعا إلىٰ الإسلام علىٰ غير السُّنَّة، فوجب أن يحذر منه، ووجب أن لا يغتر بالانتفاع المزعوم من كتبه وبمسير كتبه في الشرق والغرب، فهذا مثال الأشخاص.

◄ مثال الكتب: كتاب «إحياء علوم الدين» للغزالي:

أما مثال الكتب: فهو كتاب «إحياء علوم الدين» للغزالي: هذا الكتاب انتفع به أمم من الناس، وهو المرجع في المواعظ والإرشاد ونحو ذلك؛ عند الكثرة الكاثرة من المسلمين اليوم، ولا يخفىٰ الانشغال به علىٰ كثير من الناس اليوم، فمن مدح هذا الكتاب من هذه الحيثية، فقال: انتفع به كثير من الناس، وانتشر في الشرق والغرب، وأصبح مرجعًا من المراجع في الوعظ والإرشاد. ومن أثنىٰ علىٰ هذا الكتاب من هذه الحيثية؛ فقد أخطأ وضل السبيل في هذا المدح.

ولكي لا أطيل عن نقض هذا التوثيق وإبطاله أكتفي برسالة حررها العالم العلامة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن حسن ابن محمد بن عبد الوهاب -رحمهم الله تعالىٰ- في هذا الكتاب، وكان الباعث عليها أن رجلًا من أهل هذه البلاد كان يقرأ في هذا الكتاب علىٰ جماعة مسجده، فزجره الشيخ ونهاه عن ذلك فلم ينزجر، فكتب الشيخ كتابًا ساق فيه أقوال المحققين من العلماء في ذم هذا الكتاب، بل والأمر بإحراقه، بل وتسميته إماتة علوم الدين بدل «إحياء علوم الدين».

يقول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» الجزء الثالث صفحة (١٢٩):

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين ...

إلىٰ أن يقول:

فإني رأيت بعضَ أهلِ وقتِنا، يشتغل بكتاب «الإحياء» للغزالي، ويقرأ فيه عند العامة، وهو لا يحسن فهم معانيه، ولا يعرف ما تحت جمله ومبانيه، ليست له أهلية في تمييز الخبيث من الطيب، ولا دراية بما تحت ذلك البارق، من ريح عاتية، أو صيِّب[1]؛ فكتبت إليه نصيحة، وأرسلت إليه بعض أصحابه، وأرشدته إلىٰ الدواوين الإسلامية، المشتملة علىٰ الأحاديث النبوية، والسير السلفية، والرقائق الوعظية، فلم يقبل، واستمر علىٰ رأيه، وأعجب بنفسه، وأظهر ذلك لبعض مَنْ يجالسه، وحط من قدر الناهي له.

(١) الصيب: المطر.

فكتبت إليه كتابًا، فلم يصغِ، ولم يلتفت، وزعم أنه علىٰ بصيرة؛ وأبدىٰ من جهله الأعاجيبَ الكثيرة؛ فأحببت أن أذكر للطلبة، والمستفيدين، بعض ما قاله أئمة الإسلام والدين في هذا الكتاب، المسمىٰ بـ«الإحياء»؛ ليكون الطالب علىٰ بصيرة من أمره؛ ولئلا يلتبس عليه ما تحت عباراته من زخرف القول، وصورة ما كتبت، أولًا -سوف يذكر الشيخ المراسلة التي افتتح بها الكلام مع هذا الرجل- وصورة ما كتبت أولًا:

من عبد اللطيف بن عبد الرحمن إلى الأخ عبد الله، سلامٌ عليكم ورحمة الله، وبركاته؛ وبعد:

فقد بلغني عنك ما يشغل كل مَنْ له حميَّة إسلامية، وغيرة دينية علىٰ الملة الحنيفية؛ وذلك أنك اشتغلت بالقراءة في كتاب «الإحياء» للغزالي، وجمعت عليه من لديك من الضعفاء، والعامة الذين لا تمييز لهم، بين مسائل الهداية والسعادة، ووسائل الكفر والشقاوة، وأسمعتَهم ما في «الإحياء» من

التحريفات الجائرة، والتأويلات الضالة الخاسرة، والشقاشق[١] التي اشتملت علىٰ الداء الدفين، والفلسفة في أصل الدين.

وقد أمر الله -تعالىٰ- وأوجب علىٰ عباده: أن يتبعوا رسله، وأن يلتزموا سبيل المؤمنين؛ وحرم اتخاذ الولائج[٢] من دون الله ورسوله، ومن دون عباده المؤمنين؛ وهذا الأصل المحكم، لا قِوامَ للإسلام إلا به؛ وقد سلك في الإحياء، طريق الفلاسفة، والمتكلمين، في كثير من مباحث الإلهيات، وأصول الدين -هذا هو موجب التحذير من هذا الكتاب- وكسا الفلسفةَ لحاءَ[٣] الشريعةِ حتىٰ ظنها الأغمار، والجهال بالحقائق من دين الله الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب ودخل به الناس في الإسلام وهي في الحقيقة: محض فلسفة، منتنة، يعرفها أولو الأبصار، ويمجها من سلك سبيل أهل العلم كافة في القرىٰ والأمصار.

قد حذر أهل العلم والبصيرة عن النظر فيها، ومطالعة

---

(١) الشقاشق: جمع الشقشقة: وهي تفريع الكلام وتكثيره.

(٢) الولائج: جمع الوليجة، وهي البطانة.

(٣) اللحاء: القشر والغلاف.

خافيها وباديها، بل أفتىٰ بتحريقها علماء المغرب ممن عرف بالسُّنَّة، وسماها كثير منهم «إماتة علوم الدين»، وقام ابن عقيل أعظم قيام في الذم والتشنيع وزيف ما فيه من التمويه والترقيع، وجزم بأن كثيرًا من مباحثه زندقة خالصة، لا يُقبل لصاحبها صرفٌ ولا عدلٌ.

قال شيخ الإسلام: ولكنْ أبو حامد، دخل في أشياء من الفلسفة، وهي عند ابن عقيل زندقة، وقد رد عليه بعض ما دخل فيه من تأويلات الفلاسفة[1]. ورد عليه شيخ الإسلام، في «السبعينية»، وذكر قوله في العقول والنفوس، وأنه مذهب الفلاسفة، فأفاد وأجاد، ورد عليه غيره من علماء الدين.

وقال فيه تلميذه ابن العربي المالكي: «شيخنا أبو حامد؛ دخل في جوف الفلسفة، ثم أراد الخروج فلم يحسن، وكلام أهل العلم معروف في هذا، لا يشكل إلا علىٰ مَنْ هو مزجىٰ البضاعة[2]، أجنبي من تلك الصناعة».

---

(١) انظر «الرد علىٰ الإخنائي» لابن تيمية (ص ٤٤٠).
(٢) أي: رديء البضاعة أو زائفها.

ومشائخنا -تغمدهم الله برحمته- مضوا علىٰ هذا السبيل والسنن، وقطعوا الوسائل إلىٰ الزندقة والفلسفة والفتن، وأدَّبوا علىٰ ما هو دون ذلك -أهل السُّنَّة والجماعة أئمة الدعوة النجدية رحمة الله تعالىٰ عليهم أجمعين- أدَّبوا مَنْ وقع في أقل من ذلك، فكيف لو شاهدوا من في زماننا الآن يقرؤون كتبًا لا تأتي مع زندقة «الإحياء»، ولا تقارنها، ولا تدانيها، وأرشدوا الطالب إلىٰ أوضح المناهج والمسالك، وشكرهم علىٰ ذلك كل صاحب سنة، وممارسة للعلم النبوي.

هذا هو الذي يشكرهم ويثني عليهم، أما صاحب البدعة ومن في قلبه هوىٰ فإنه سوف يستشنع هذا التحذير، ويقول: إنما هو غلو وتشدد وتشدق، ونحو ذلك.

وأنت قد خالفت سبيلهم، وخرجت عن مناهجهم، وضللت المحجة؛ وخالفت مقتضىٰ البرهان والحجة، واستغنيت برأيك، وانفردت بنفسك عن المتوسمين بطلب العلم، المنتسبين إلىٰ السُّنَّة ما أقبحَ الحورَ بعد الكورِ[1]! وما

---

(١) الحور بعد الكور: النقصان بعد الزيادة.

أوحش زوال النعم وحلول النقم! إذا سمعت بعض عباراته المزخرفة، قلت: كيف ينهانا عن هذا فلان، أو يأمر بالإعراض عن هذا الشأن؟

هذه والله حجة كثير من الناس عندما تحذرهم من هذه الكتب وأمثالها، يقولون: هي مليئة بالخير وبالذكر، مليئة بـ«قال الله قال رسوله»، وبالنقول عن العلماء، فإذا نهيتهم وحذرتهم عن هذه الكتب لما اشتملت عليه من الضلال الخفي أو الضلال الجلي الذي لا يميزه هؤلاء ولا ينظرون إليه، كأنك: سقطت علىٰ الدرة المفقودة، والضالة المنشودة، وقد يكون ما أطربك، وهز أعطافك، وحَرَّكك: فلسفةٌ متتنةٌ، وزندقة مبهمة، أخرجت في قالب الأحاديث النبوية، والعبارات السلفية، فرحم الله عبدًا عرف نفسه، ولم يغتر بجاهه، وأناب إلىٰ الله، وخاف الطرد عن بابه، والإبعاد عن جنابه.

وينبغي للإمام -أيده الله- أن ينزع هذا الكتاب من أيديكم؛ ويلزمكم بكتب السُّنَّة، من الأمهات الست، وغيرها، والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل.

ثم جمعت بعض أقوال أهل العلم، وما أفتوا به في هذا

الكتاب، وتحذيرهم للطالب والمسترشد؛ فمن ذلك ... اهـ.

ثم أخذ في سياق أقوال الأئمة -رحمة الله تبارك وتعالىٰ عليهم أجمعين- في التحذير من هذا الكتاب.

فهذا المنهج هو المنهج الحق الذي لم تلوثه النزعات الحزبية أو العواطف التي لا تُكبح جِماحها بالكتاب ولا بالسُّنَّة؛ لأنَّ العاطفة لو أراد الإنسان أن يسير معها دون تقيد بالكتاب وبالسُّنَّة لقال: هذا كتاب نافع انتشر عند الناس، وليس فيه إلا قال الله وقال رسوله وقال العلماء، ولقد اهتدىٰ به قوم بعد ضلالة؛ فقد كانوا غارقين في الفسوق، فخرجوا من الفسوق إلىٰ الزهد والعبادة.

وهكذا من أراد الانحراف مع العواطف والاسترسال معها فإنها لا تبقي ولا تذر، فإنها لن تهدي الإنسان إلىٰ سواء السبيل، فالدين -دين الإسلام- ليس بالعواطف والهوىٰ، وإنما هو كتاب وسنة، فماذا بعد الحق إلا الضلال؟!

وهنا أمر أحب أن أشير إليه، وهو أن التحذير من هذا الكتاب وأمثاله يعني عدم الاستفادة منه إلا لأهل العلم

المتمكنين القادرين علىٰ تمييز الحق من الباطل؛ لأنه ما من كتاب في الجملة من هذه الكتب إلا ويشتمل علىٰ حق مع الباطل الذي فيه، والموقف الصحيح -إن شاء الله تعالىٰ- أن هذا الحق الذي فيه إن كان لا يوجد في غيره من كتب السُّنَّة -يؤخذ، وإن كان هذا الحق الذي جاء به يوجد في كتب أهل السُّنَّة فالأَوْلىٰ والأكمل والمستحب أن ينقل من كتبهم دون ذلك الكتاب.

ولقد أعجبتني عبارة لأبي الفتح القشيري ساقها الحافظ ابن حجر في مقدمة «فتح الباري» عندما تكلم عن رواية المبتدع، والمبتدع المراد به هنا مَنْ لم تبلغ به بدعته إلىٰ الكفر، ومن كان من المبتدعة مشهورًا بالديانة وبالسلامة من خوارم المروءة، ومشهورًا بعدم الكذب ونحو ذلك.

يقول أبو الفتح القشيري في رواية هذا المبتدع: «إن وافقه غيره فلا يلتفت إليه -يعني لا يلتفت إلىٰ رواية هذا المبتدع، فإن ذلك، يقول: هو إخماد لبدعته وإطفاء لناره، وإن لم يوافقه أحد، ولم يوجد ذلك الحديث إلا عنده مع ما وصفنا من صدقه وتحرزه عن الكذب واشتهاره بالدين وعدم تعلق ذلك الحديث ببدعته، فينبغي أن تقدم مصلحة ذلك الحديث

ونشر تلك السُّنَّة علىٰ مصلحة إهانته وإطفاء بدعته، والله أعلم». انتهىٰ كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1].

وهذا إن كان في رواية المبتدع في الأحاديث النبوية، فهو فيما دونها من الفوائد من باب أولىٰ، وهذا الموضوع يحتاج إلىٰ تفصيل وإطالة، ولعلنا نتمكن -إن شاء الله تعالىٰ- فيما بعد من إشباعه.

☆☆☆

(١) «فتح الباري»، لابن حجر (١/ ٣٨٥).

لفظا «الجرح والتعديل»
التعديل لأهل السنة، والجرح لأهل البدع

هناك لفظان شاع إطلاقهما في هذا الزمن:

أحدهما: الجرح.

والآخر: التعديل.

فإذا أريد تعديل أحد قيل: هذا من أهل السُّنَّة. وإذا أريد جرحه قيل: هذا من أهل البدعة.

والذي نحتاج إلىٰ معرفته عن هذين المصطلحين هو ضابط هذين اللفظين، ومتىٰ يطلقان وعلىٰ مَنْ يطلقان، ونبدأ أولًا بلفظ أهل السُّنَّة.

➢ ضابط إطلاق الجرح والتعديل عند أهل السنة:

أما أهل السنة: فإن هذا اللفظ إنما يطلق علىٰ الشخص الذي التزم معتقد أهل السُّنَّة والجماعة المدونة في كتبهم

المعروفة، ولم يخرج عنه قدر أنملة، والسُّنَّة التي ينتسب إليها أهل السُّنَّة والجماعة هي طريقة النبي ﷺ وأصحابه الكرام، كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ عندما سئل عن السُّنَّة، قال: «هي ما لا اسم له غير السُّنَّة»، وتلا قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣] (١).

فالذي سار علىٰ هذا الصراط المستقيم، ولم يلتفت قلبه إلىٰ شيء من الأهواء؛ كبيرة كانت أو صغيرة، حاذيًا في ذلك حذو أئمة السلف، لا يخرج عنهم، فهو من أهل السُّنَّة، قال رجل لأبي بكر بن عياش: يا أبا بكر، من السنيُّ؟ فأجابه بإجابة بديعة، قال: «الذي إذا ذكرت الأهواء لم يغضب لشيء منها» (٢).

لِمَ؟ لأنه ليس له أي انتماء إلا إلىٰ السُّنَّة، فلا يؤثر فيه الطعن علىٰ الأهواء وأهلها، ولا يؤثر فيه القدح في كتب أهل

---

(١) «الاعتصام»، للشاطبي (١/ ٨٤).

(٢) «الاعتصام»، للشاطبي (١/ ١٤١)، و«الاستقامة» لابن تيمية (١/ ٢٥٥).

الأهواء وفي مؤلفاتهم، بخلاف مَنْ تلطخ بها، فإنه -وإن زعم أنه علىٰ السُّنَّة- يطيش غضبًا إذا عُرِّضَ ببدعته وحزبه، فكيف إذا صرح بسببه! لا شك أنه سوف تثور ثائرته وتقوم قيامته.

ولذا فإنك ستلحظ بعض أهل الحزبيات إذا ذكرت مساوئ حزبه استشاط غيظًا وتغير وجهه، ثم يأتيه الشيطان ويزين له أن هذا الغضب من باب الغضب لدين الله ﷻ، بينما الواقع أنه غضب لحزبه وأهله، شاء أم أبىٰ؛ لأن المساوئ يجب أن تذكر ويحذر منها.

فإذا غضب أحد بذكر المساوئ حتىٰ تُحذر فهو صاحب هوىٰ، وفي قلبه دخن[(١)].

وقد وقفت علىٰ ضابط بديع جميل لمن يستحق أن يُطلقَ عليه هذا اللفظ -لفظ أهل السُّنَّة والجماعة- هذا الضابط سطره إمامٌ من أئمة السُّنَّة، وفحلٌ من فحول السُّنَّة، الواقفين في وجه أهل البدع بالمرصاد، هو الإمام أبو محمد الحسن بن علي البربهاري، وهذا الضابط ذكره في كتابه

---

(١) أي: فساد.

«شرح السُّنَّة» يقول فيه بما نصه يقول: «ولا يحل لرجل أن يقول: فلان صاحب سنة حتىٰ يعلم أنه قد اجتمعت فيه خصال السُّنَّة؛ فلا يقال له صاحب سنة حتىٰ تجتمع فيه السُّنَّة كلها». انتهىٰ كلامه بواسطة نقل القاضي ابن أبي يعلىٰ في كتابه «طبقات الحنابلة»[1].

فهذا هو الوصف الذي يؤهل من اتصف به أن يسمىٰ بالسُّنَّة، وأن يكون من أهلها.

إذًا، فمن قال: إن الأشاعرة من أهل السُّنَّة. فقد كذب وافترىٰ، وقال زورًا وبهتانًا، فلْيَتَّقِ الله -تعالىٰ- من أراد أن يطلق هذه اللفظة علىٰ شخص، فلا يطلقها حتىٰ يعلم التزامه بالسُّنَّة واتباعه لأهلها، فإن الزمن زمن فتن في دين الله عَزَّوَجَلَّ فكم من رجل ظاهره السُّنَّة فإذا فتشت عن أحواله وجدته نابذًا السُّنَّة في أمور كثيرة.

فلذا وجب التحري والتثبت؛ فإن الأمر كما فعل حذيفة بن

---

(١) «شرح السنة»، للبربهاري (٥٧) (١٢٢)، وانظر: «طبقات الحنابلة»، للقاضي ابن أبي يعلىٰ (٢/ ٣٩).

اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ إذ قد أخذ حجرين، فوضع أحدهما على الآخر، ثم قال لأصحابه: «هل ترون ما بين هذين الحجرين من النور؟»، قالوا: يا أبا عبد الله، ما نرى بينهما من النور إلا قليلًا! قال: «والذي نفسي بيده، لتظهرنَّ البدعُ حتى لا يرى من الحق إلا قدر ما بين هذين الحجرين من النور، والله لتفشونَّ البدع حتى إذا ترك منها شيء، قالوا: تركت السُّنَّة»[1].

وكلامه هذا -وايم الله- ينطبق انطباقًا تامًّا على زماننا، حمانا الله وإياكم من كل سوء.

التحذير من الحزبيات والأهواء:

إذًا، فالتمييز يحتاج إلى جهد كبير لمن أراد إبراء ذمته والخلاص من التبعة، أما من كانت ذمته مَطِيَّةً مسخَّرةً لكل راكب فهذا لا حيلة فيه، ولنأخذ على هذا الأمر مثالًا يوضحه ويزيده بيانًا:

الشخص الذي ينتمي إلى حزب من الأحزاب الإسلامية

---

(١) «الاعتصام»، للشاطبي (١/ ١٢٧).

المعاصرة؛ كحزب التبليغ، أو الإخوان المسلمين، أو حزب التحرير، أو التكفير والهجرة، ونحو ذلك، ويوالي ويعادي في هذا الحزب، فهذا لا يجوز أن يقال: إنه من أهل السُّنَّة في هذا الباب، فإذا أطلق عليه أنه من أهل السُّنَّة وسكت فإن المطلق قد أخطأ؛ لأن هذا الرجل بموالاته ومعاداته لهذا الحزب، أو بانضمامه إلىٰ هذا الحزب، أو برضاه في انتسابه إلىٰ الحزب قد تلطخ بأوضار(١) هذه البدعة الشنيعة التي شقَّت في الإسلام شقًّا، وزرعت بين المسلمين العداوة والبغضاء والشنآن(٢) والمشاحنة.

والواجب إذا كان هذا الرجل موافقًا للسنة في جميع أمره سوىٰ هذا أن يقال: ليس من أهل السُّنَّة في هذا الباب. وذلك لأن منهج السُّنَّة في مثل هذه الحزبيات معروفٌ وواضحٌ وبَيِّنٌ.

وقد جاء رجل إلىٰ الإمام مالك، فقال له: يا أبا عبد الله، أسألك عن مسألة أجعلك حجةً فيما بيني وبين الله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) أوضار: أقذار ومعايب.

(٢) الشنآن: الكره.

قال الإمام مالك: «ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، سَلْ». قال: مَنْ أهل السُّنَّة؟ قال: «أهل السُّنَّة الذين ليس لهم لقب يعرفون به لا جهمي ولا قدري ولا رافضي...» رواه ابن عبد البر في «الانتقاء»[1].

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلام بديع في هذا الصدد، ينكر الانتساب إلىٰ مثل هذه الحزبيات، وإلىٰ مثل هذه الجماعات؛ فإنه قد وقع في زمنه مثلها، فقضىٰ عليها رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأبطلها، وفيما يلي قراءة ما سطره في هذا الباب:

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «الوصية الكبرىٰ» له: «وكذلك التفريق بين الأمة، وامتحانها بما لم يأمر الله به ولا رسوله: مثل أن يقال للرجل: أنت شكيلي، أو قرفندي، فإن هذه أسماء باطلة، ما أنزل الله بها من سلطانٍ، وليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ ولا في الآثار المعروفة عن سلف الأئمة لا شكيلي ولا قرفندي، والواجب علىٰ المسلم إذا سئل عن ذلك أن يقول: لا أنا شكيلي ولا قرفندي؛ بل أنا مسلم متبع لكتاب الله وسنة رسوله.

---

(١) «الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء»، لابن عبد البر، (٣٥).

وقد رُوِّينا عن معاويةَ بنِ أبي سفيان: أنه سأل عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقال: أنت علىٰ ملة علي، أو ملة عثمان؟ فقال: لست علىٰ ملة علي، ولا علىٰ ملة عثمان، بل أنا علىٰ ملة رسول الله ﷺ.

وكذلك كان كل السلف يقولون: كل هذه الأهواء في النار. ويقول أحدهم: ما أبالي أي النعمتين أعظم؟ علىٰ أن هداني الله للإسلام، أو أن جنبني هذه الأهواء.

والله -تعالىٰ- قد سمانا في القرآن: المسلمين المؤمنين، فلا نعدل عن الأسماء التي سمانا الله بها إلىٰ أسماء أحدثها قوم -وسموها هم وآباؤهم- ما أنزل الله بها من سلطان».
انتهىٰ كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ(١).

إذًا، فالانتساب إلىٰ مثل هذه الجماعات خطره عظيم، وضرره شنيع، ويجب علىٰ من أراد لنفسه السلامة والخلوص أن ينتفي عن هذه الجماعات، وأن يتبرأ إلىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ منها فيكون متبعًا لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ»، لابن تيمية (٣/ ٤١٥).

هذا فيما يتعلق باللفظ الأول وهو لفظ أهل السُّنَّة، ولعلنا بهذا قد وضعنا ضابطًا لمن يستحق أن يوصف بأنه من أهل السُّنَّة.

أما أهل البدع - وهو اللفظ الذي يُطلق في الجرح - وهو لفظ أهل البدع، فقبل أن نتكلم عليه ونوضحه نتكلم عن نقطتين مهمتين كالتمهيد له:

➢ البدع كلها توصف بأنها ضلالة:

أما النقطة الأولى فهي: أن البدع كلها توصف بأنها ضلالة، كما هو نص الحديث عن رسول الله ﷺ[(١)]، لكن هذه الضلالة متفاوتة، فمنها ما هو في أعلىٰ درجات الضلالة، ومنها ما هو دون ذلك.

وفي ذلك يقول الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «الاعتصام» في التدليل علىٰ أن رتب البدع متفاوتة: «فمنها: بدعة محرمة، ومنها: بدعة مكروهة»[(٢)] - ثم يمثل لنوعي البدع بهذا

---

(١) يشير إلىٰ قوله ﷺ في الحديث: «وكل بدعة ضلالة»، أخرجه مسلم (٨٦٧) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) «الاعتصام»، للشاطبي (٢/ ٣٥٤).

الاعتبار، فيقول: «فمنها ما هو كفر صراح كبدعة الجاهلية التي نبه عليها القرآن...

وبدعة المنافقين حيث اتخذوا الدين ذريعةً لحفظ النفس والمال...

ومنها: ما هو من المعاصي التي ليست بكفر أو يختلف هل هي كفر أم لا؟ كبدعة الخوارج والقدرية والمرجئة ومن أشبههم من الفرق الضالة...

ومنها: ما هو معصية ويُتَّفَقُ علىٰ أنها ليست بكفر؛ كبدعة التبتل(١).

ومنها: ما هو مكروه»(٢) ...

ثم يقول: «فمعلوم أن هذه البدع ليست في رتبة واحدة، فلا يصح مع هذا أن يقال: إنها علىٰ حكم واحد؛ هو الكراهة فقط، أو التحريم فقط»(٣).

---

(١) أي: ترك لذات الدنيا وشهواتها والانقطاع إلىٰ الله بالتفرغ لعبادته؛ أخرج البخاري (٥٠٧٣)، ومسلم (١٤٠٢) عن سعد بن أبي وقاص، يقول: «رد رسول الله ﷺ، وسَلَّم علىٰ عثمان بن مظعون التبتل، ولو أذن له لاختصينا».

(٢) «الاعتصام»، للشاطبي (٢/ ٣٥٤، ٣٥٥).

(٣) «الاعتصام»، للشاطبي (٢/ ٣٥٥).

ثم يقول أيضًا:

«إذا تقرَّرَ أن البدع ليست في الذم ولا في النهي علىٰ رتبة واحدة، وأن منها ما هو مكروه كما أن منها ما هو محرم، فوصْفُ الضلالة لازم لها، وشامل لأنواعها؛ لما ثبت من قوله ﷺ: «**كل بدعة ضلالة**»... انتهىٰ كلامه رحمه الله[1].

يستفاد منه أن البدع متفاوتة؛ فمنها بدعة كبيرة شنيعة، ومنها بدعة أقل منها، ومنها بدعة أقل ... وهكذا.

ولكن كل هذه البدع يطلق عليها لفظ الضلالة، فيشمل قول النبي ﷺ: «**كل بدعة ضلالة**»[2]، ولا يتبادر إلىٰ الأذهان أن البدع المكروهة تساوي الأمور المكروهة؛ كأكل الثوم والبصل، ونحو ذلك عند إرادة الصلاة[3] وغيرها من الأمور المكروهة التي يستحب للإنسان أن يتركها، وإذا فعلها فإنه لا يعاقب.

---

(١) «الاعتصام»، للشاطبي (٢/ ٣٧٧).

(٢) تقدَّم تخريجه قريبًا.

(٣) أخرج البخاري (٨٥٣)، ومسلم (٥٦١) عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال في غزوة خيبر: «من أكل من هذه الشجرة -يعني: الثوم- فلا يقربن مسجدنا».

لا، هذا ليس في باب البدع، بل البدع المكروهة يعاتب الإنسان عليها، وقد يعاقب علىٰ فعلها.

وفي تقرير أن البدع منها ما هو صغير ومنها ما هو كبير، يقول الإمام البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في الكتاب الآنف الذكر له يقول: «واحذر صغار المحدثات من الأمور؛ فإن صغار البدع تعود حتىٰ تصير كبارًا، وكذلك كل بدعة أحدثت في هذه الأمة، كان أولها صغيرًا يشبه الحق، فاغتر بذلك مَنْ دخل فيها، ثم لم يستطع المخرج منها، فعظمت وصارت دينًا يُدان به». اهـ[1].

➢ الفرق بين التبديع بالإطلاق والعموم، وبين التبديع بالتعيين:

النقطة الثانية التي نمهّد بها الكلام على لفظ أهل البدع: أن هناك فرقًا بين التبديع بالإطلاق والعموم، وبين التبديع بالتعيين.

---

(١) «شرح السنة»، للبربهاري (٢٣) (٥).

مثال التبديع بالإطلاق والعموم، قولنا: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق. فهو مبتدع. فهذا تبديع علىٰ وجه العموم والإطلاق.

أما مثال التبديع على وجه التعيين، فكقولنا: فلان بن فلان يقول باللفظ، فهو إذًا مبتدع.

والفرق بين اللفظين أن التبديع بالإطلاق والعموم لا حرج فيه ولا محذور، فنحن نقول: «من قال كذا من البدع فهو مبتدع»، ولكننا لا نعين الشخص، فهذا هو التبديع بالإطلاق، أما التبديع بالعين فإنه يخالف التبديع بالإطلاق في أنه محظور ابتداءً فلا يجوز لنا أن نعين شخصًا فنقول هذا مبتدع بعينه ابتداءً حتىٰ تقوم عليه الحجة، فإذا قامت عليه حجة فرفضها؛ فقد يسوغ عندئذ تعيينه في اسم المبتدعة، وهذا الحكم للمُعَيَّنِ؛ لأن المعين قد يكون متأولًا أول الأمر، وقد يكون جاهلًا، فإذا أخبر فعاند عندئذٍ وعلم رضاه بهذه البدع؛ فقد يسوغ تبديعه.

والكلام علىٰ التعيين سواء في التكفير أو في التبديع أو في التفسيق يطول جدًّا، وأهل السُّنَّة والجماعة -رحمة الله عليهم-

بسطوا الكلام في هذا الموضوع وأشبعوه بحثًا، لكنني الآن أمثل علىٰ ما هو دون البدع في مجال التعيين؛ وهو أن النبي ﷺ لعن شارب الخمر، وهذا حديث معروف ومشهور وثابت[1].

ولما جيء له بعبد الله بن حمار رضي الله عنه، وكان قد شرب الخمر، فقال بعض الصحابة: لعنه الله، ما أكثَرَ ما يُؤتَىٰ به! غضب النبي ﷺ، وقال: «**لا تلعنه؛ فإنه يحب الله ورسوله**»[2].

إذًا فهو -عليه الصلاة والسلام- لعن شارب الخمر عمومًا، ولكنه حظر علينا أن نعين.

إذًا، فالذي يتحصل لنا أن التعيين في إطلاق التبديع محظور ابتداءً حتىٰ تقام الحجة علىٰ المبتدع، فإذا أقيمت وعاند عندئذٍ قد يسوغ شرعًا إيقاع لفظ الابتداع عليه.

---

(١) أخرج أبو داود (٣٦٧٤) عن ابن عمر أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لعن الله الخمر، وشاربها، وساقيها، وبائعها، ومبتاعها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه»، وصححه الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود».

(٢) أخرج البخاري (٦٧٨٠) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ضوابط الحكم على فرقة من الفرق بأنها ليست من أهل السنة:

إذا علم هذا وتقرَّر، فقد جعل الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «الاعتصام»- ضابطًا يبين متىٰ يحكم علىٰ فرقة من الفرق أنها ليست من أهل السُّنَّة، يقول: «هذه الفرق إنما تصير فرقًا بخلافها -يعني: بسبب خلافها- للفرقة الناجية في معنًىٰ كليٍّ في الدين، وقاعدة من قواعد الشريعة، لا في جزئي من الجزئيات؛ إذ الجزئي والفرع الشاذ لا ينشأ عنه مخالفة يقع بسببها التفرق شيعًا، وإنما ينشأ التفرق عند وقوع المخالفة في الأمور الكلية»[(١)].

ثم مثّل لذلك رَحِمَهُ اللَّهُ بمسألة التحسين والتقبيح العقليين، وقال: «فإن المخالفة فيها أنشأت بين المخالفين خلافًا في الفروع لا تنحصر ما بين فروع عقائدَ وفروع أعمالٍ، ويجري مجرىٰ القاعدة الكلية كثرة الجزئيات، فإن المبتدع إذا أكثر من إنشاء الفروع المخترعة عاد ذلك علىٰ كثير من الشريعة بالمعارضة... وأما الجزئي فبخلاف ذلك، بل يعد وقوع ذلك من المبتدع له كالزلة والفلتة»[(٢)].

---

(١) «الاعتصام»، للشاطبي (٣/ ١٣٩).

(٢) «الاعتصام»، للشاطبي (٣/ ١٤٠).

ثم قال في آخر البحث: «فثبت أن هذه الفرق إنما افترقت بسبب أمور كلية اختلفوا فيها، والله أعلم»[1]. اهـ.

إذًا فتحصل لنا من ذلك أن المبتدعة المخالفين للفرقة الناجية هم من خالفوهم في أمور:

الأمر الأول: في معنىً كلي في الدين.

الأمر الثاني: في قاعدة من القواعد الشرعية.

الأمر الثالث: في فروع كثيرة من الشرع.

هذا هو ضابط الفرق الخارجة عن أهل السُّنَّة والجماعة عند الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ.

والذي أحب أن أشير إليه أن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ قد سبق الشاطبي إلىٰ كثير من هذا الضابط؛ فقد قال في الجزء الثالث من «الفتاوىٰ» في مجمل اعتقاد السلف رحمة الله تعالىٰ عليهم: «ينبغي أيضًا أن يعرف أن الطوائف المنتسبة إلىٰ متبوعين في أصول الدين والكلام؛ علىٰ درجات؛ منهم من يكون

---

(١) «الاعتصام»، للشاطبي (٣/ ١٤١).

قد خالف السُّنَّة في أصول عظيمة، ومنهم مَنْ يكون إنما خالف السُّنَّة في أمور دقيقة»[١].

إلى أن قال: «ومثل هؤلاء إذا لم يجعلوا ما ابتدعوه قولًا يفارقون به جماعة المسلمين، يوالون عليه ويعادون، كان من نوع الخطأ، والله ﷻ يغفر للمؤمنين خطأهم في مثل ذلك، ولهذا وقع في مثل هذا كثير من سلف الأمة وأئمتها، لهم مقالات قالوها باجتهادٍ وهي تخالف ما ثبت في الكتاب والسُّنَّة، بخلاف مَنْ والَىٰ موافقه، وعادىٰ مخالفه، وفرق بين جماعة المسلمين، وكفَّر وفسَّق مخالفه دون موافقه في مسائل الآراء والاجتهادات؛ واستحل قتال مُخالفه دون مُوافقه، فهؤلاء من أهل التفرق والاختلاف». انتهىٰ كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ[٢].

وهو أيضًا قد سئل سؤالًا جاء فيه: وما حد البدعة التي يعد بها الرجل من أهل الأهواء؟

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ: «والبدعة التي يُعد بها الرجل من أهل الأهواء ما اشتهر عند أهل العلم بالسُّنَّة مخالفتها للكتاب

(١) «مجموع الفتاوىٰ»، لابن تيمية (٣/ ٣٤٨).
(٢) «مجموع الفتاوىٰ»، لابن تيمية (٣/ ٣٤٩).

والسُّنَّة؛ كبدعة الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة...»، إلىٰ آخر كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)].

فما ذكره هذان الإمامان هو الأصل بالنسبة للفرق والجماعات الخارجة عن أهل السُّنَّة والجماعة.

وقد يُزاد عليه أن يطلق لفظ الابتداع علىٰ مَنْ أحدث في أمر جزئي بشرط أن ينتفي من موانع العذر؛ كالجهل، والتأويل، والاجتهاد، ونحو ذلك.

ولذا فإننا نجد آثارًا كثيرةً عن السلف فيها تبديع مَنْ وقع في بدعةٍ وإن لم تكن كليةً، فقد جاء عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه دخل مسجدًا أراد أن يصلي فيه، فثوَّب المؤذن[(٢)]، فخرج عبد الله بن عمر من المسجد، وقال: اخرج بنا من عند هذا المبتدع. ولم يصلِّ فيه[(٣)].

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ»، لابن تيمية (٣٥/ ٤١٤).

(٢) التثويب الذي أنكره ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هو شيء أحدثه الناس بعد النبي ﷺ إذا أذن المؤذن فاستبطأ القوم، قال بين الأذان والإقامة: قد قامت الصلاة، حي علىٰ الصلاة، حي علىٰ الفلاح. كما ذكر ذلك الترمذي. انظر «سنن الترمذي» (١/ ٣٧٨).

(٣) أخرجه الترمذي (١٩٨)، وضعفه الألباني في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

وعن معاوية بن قرة، قال: كنا إذا رأينا الرجل يقص[١]- قلنا: هذا صاحب بدعة.

ذكر هذين الأثرين ابن وضاح في كتابه «البدع والنهي عنها» وفسر معنىٰ التثويب في أثر ابن عمر.

وهذا التعيين لا شك أنه إنما جاء بعد إطالة الحجة أو اشتهار بدعية هذا الأمر بحيث لا يخفىٰ علىٰ أحد.

☆☆☆

(١) أي: يحدث بالقصص المُخالفة للسنة، والتي تنشر البدع والخرافات التي يتمسك بها العوام رغبة بما يترتب عليها من فضل قد نَسجَه القصاص والوعاظ من خيالهم.



علامات أهل البدع والأهواء

ومما يرتبط بهذا الموضوع ارتباطًا وثيقًا ما ذكره الشاطبي من علامات ومميزات أهل البدع والأهواء؛ فقد حصر علاماتهم في ثلاث علامات، فنذكرها لكي يعرف أهل البدع بها، ونتكلم على كل واحد منها بمثال يُلامس واقعنا، أو هو من واقعنا، يقول الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في علامات أهل البدع:

➢ العلامة الأولى من علامات أهل البدع والأهواء: «الفرقة»:

«**الأولى منها:** الفُرقة -فهم أهل الفرقة لاتباعهم أهواءهم.

قال بعض العلماء: كل مسألة حدثت في الإسلام، واختلف الناس فيها، ولم يورث ذلك الاختلاف بينهم عداوة ولا بغضاء ولا فرقة علمنا أنها من مسائل الإسلام، وكل مسألة حدثت وطرأت فأوجبت العداوة والبغضاء والتدابر والقطيعة علمنا أنها ليست من أمر الدين في شيء[1]».

---

(١) «الاعتصام»، للشاطبي (٣/ ١٦٩).

إذًا، فأهل البدع والأهواء أهل فرقة، يأتون إلىٰ مجتمع أهل السُّنَّة، إلىٰ مجتمع قد الْتحمَ فيه العامةُ بولاتهم، وارتبط العامة فيه بعلمائهم، يأتون إلىٰ هذا المجتمع الذي أنعم الله عَزَّوَجَلَّ عليه بالاتفاق والائتلاف، فيفرقون شمله، ويخالفون بين صفوف أهله، فيبغضون الحاكم إلىٰ المحكوم، ويبغضون العلماء إلىٰ العامة، والعامة إلىٰ العلماء، ونحو ذلك، فهذه سمة لازمة لأهل البدع.

وإذا فتشت عن التفرق والاختلاف فإنما منشؤه من أهل البدع؛ فالخوارج خرجت في أول الإسلام وشقت في الإسلام شقًّا لم ينثلم إلىٰ هذا اليوم.

وكذلك الإخوان المسلمون خرجوا علينا قبل سنتين أو ثلاث فشقوا صفوفنا، وفعلوا بنا ما نراه اليوم من التفرق والاختلاف[1].

إذًا فهذه أول سمة لأهل البدع، وهي أنهم أهل فرقة.

---

(١) وقد توفي الشيخ عبد السلام بن برجس ليلة السبت، الموافق ١٣- ٢- ١٤٢٥هـ، في حادث مروري مروِّع، رحمه الله رحمة واسعة، وكانت هذه المحاضرة قبل وفاته بحوالي عشر سنين أو أكثر!

العلامة الثانية من علامات أهل البدع والأهواء: «اتباع المتشابه»:

«الصفة الثانية: هي التي نبه الله سبحانه وتعالى عليها بقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ﴾ [آل عمران:٧]؛ فبينت الآية أن أهل الزيغ يتبعون متشابهات القرآن[١]».

«مثال ذلك ما أخرجه ابن وهب عن بكير أنه سأل نافعًا: كيف كان رأي ابن عمر في الحرورية؟ قال: يراهم شرار خلق الله، إنهم انطلقوا إلىٰ آياتٍ أنزلت في الكفار، فجعلوها علىٰ المؤمنين[٢]، فسَّر سعيد بن جبير من ذلك، فقال: مما يتبع الحرورية من المتشابه: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾ [المائدة:٤٤]، ويقرنون معها: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ١﴾ [الأنعام:١]، فإذا رأوا الإمام يحكم بغير الحق، قالوا: قد كفر،

---

(١) «الاعتصام»، للشاطبي (٣/ ١٧١).

(٢) «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد»، لابن عبد البر، (٢٣/ ٣٣٥)، و«الاعتصام»، للشاطبي (٣/ ١١٣)، وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٢/ ٢٨٦): «سنده صحيح».

ومن كفر عدل بربه، ومن عدل بربه فقد أشرك، فهذه الأمة مشركون، فيخرجون فيقتلون ما رأيت؛ لأنهم يتأولون هذه الآية[1]».

ومما يميز أهل البدع والأهواء ما ذكره هذا الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بكل صراحة وبكل وضوح، وإذا تأملت ذلك وجدته صدقًا وحقًّا، فهي سمة مميزة لهم.

فهذه الآية مثلًا امتطاها الإخوان المسلمون في ترسيخ منهجهم ومبدئهم، وهو تكفير الحكام من العصاة الموحدين، فاستدلوا بها علىٰ أن كل من حكم بغير ما أنزل الله يعتبر كافرًا كُفْرَ اعتقادٍ، كفرًا مخرجًا من الملة، ونسوا أن ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن قد ثبت عنه بالأسانيد الصحيحة أنه فسر هذه الآية بأنها: «كفر دون كفر»[2].

وهذا هو الذي يتمشىٰ مع عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة

---

(١) «الاعتصام»، للشاطبي (٣/ ١١٣).

(٢) روي عن ابن عباس وطاوس وعطاء وغير واحد من أهل العلم قالوا: «كفر دون كفر، وفسوق دون فسوق». انظر تفسير الطبري (١٠/ ٣٥٦).

بأنهم لا يحكمون علىٰ صاحب ذنب بالكفر ما لم يستحله.

إذًا، فالاعتماد علىٰ مثل هذه الآية في تكفير حكامنا خطأ محض وضلال مبين، ولذلك فإن أئمة السلف ومنهم أئمة الدعوة -رحمة الله عليهم- بينوا أن الحكم بغير ما أنزل الله هو كفر عمل، لا كفر اعتقاد، هو كفر عمل لا يخرج صاحبه من ملة الإسلام، ولا شك أنه جرم شنيع أعظم من الكبائر، وأشنع من الكبائر.

ونحن إذا بينا هذا الأمر ووضحنا هذا الحكم لا يعني ذلك أننا ننتقص من الحكم بغير ما أنزل الله ونهون من شأنه كما يرمينا به أعداء الإسلام والسُّنَّة، حاشا وكلَّا واللهِ، ولكننا نحكم بما حكم الله ﷻ به وبما حكم به رسوله ﷺ.

أما الإخوان المسلمون فهم يرون مثلًا تكفير حكامنا، ويرون الإثارة عليهم في المنابر والمحاضرات ونحو ذلك، ويستغلون الحوادث لإثارة الشعب عليهم، ويمهدون ويوطئون للخروج عليهم بأقوالهم وبأفعالهم وبنحو ذلك، فلما كان هذا مبدؤهم -وهو مبدأ الخوارج- عطفوا

النصوص، ولووا أعناقها؛ لكي تخدم منهجهم ويخرجونه إلىٰ الناس باسم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فمِنْ ثَمَّ احتجوا بمثل هذه الآية علىٰ كفر من حكم بغير ما أنزل الله، وكذبوا وضلوا سواء السبيل، وليس في هذه الآية دليل لهم.

➢ العلامة الثالثة من علامات أهل البدع والأهواء: «اتباع الهوى»:

العلامة الثالثة من علامات أهل البدع والأهواء: «اتباع الهوىٰ وهو الذي نبه عليه قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ [آل عمران:٧]؛ فالزيغ هو الميل عن الحق؛ اتباعًا للهوىٰ»(١).

ومثال اتباع الهوىٰ: تقرير بعض الدعاة قديمًا وحديثًا أن الداعية يسعه أن يدعو إلىٰ الله بغير الطرق التي دعا بها النبي ﷺ وصحابته الكرام.

فالصوفية يرون الدعوة إلىٰ الله -تعالىٰ- بالسماع.

---

(١) «الاعتصام»، للشاطبي (٣/ ١٧٢).

والإخوان المسلمون يرون الدعوة إلىٰ الله بالتمثيل والمسارح والرقص ونحو ذلك.

وجماعة التبليغ يرون الدعوة إلىٰ الله -تعالىٰ- بالخروج المحدَّدِ ونحو ذلك!

ولا ريب أن هذا تقديم للهوىٰ علىٰ الهدىٰ؛ إذ قد قامت النصوص الشرعية علىٰ أن من أحدث في دين الله ما لم يشرعه الله فإن عمله مردود غير مقبول(١).

ومن هذا المنطلق قلنا ولا زلنا نقول: إن وسائل الدعوة توقيفية(٢)، ولا يجوز لأحد أن يحدث فيها ما ليس من هدي النبي ﷺ، ومن زعم أنها غير توقيفية فقد زعم أن مع الله سبحانه وتعالى مشرعًا.

➢ الفرق بين وسائل الدعوة، وبين الأداة المبلغة للوسيلة:

ولكي لا تفهم هذه العبارة خطأً كما فهم ما قبلها من

---

(١) أخرج مسلم (١٧١٨) عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**».

(٢) راجع كتاب «الحجج القوية علىٰ أن وسائل الدعوة توقيفية» للشيخ عبد السلام بن برجس رحمه الله.

العبارات في محاضرات وفي كلمات سالفة، أقول: إن هناك فرقًا بين الوسيلة ذاتها، وبين الأداة المبلغة للوسيلة.

فالأولى: وهي الوسيلة بذاتها، هي المقصودة بكلامي هنا.

وأما الثانية: وهي الأداة، فإنها قد تكون محرمة، كما أنها قد تكون مباحة.

ونوضح ذلك بمثال:

عندنا من الوسائل: الكلام، والكتابة، ومن الأدوات المبلغة للوسائل: الشريط والفاكس والفيديو، فالوسيلة يجب أن تكون وسيلةً نبويةً، وهذا موجود في الكتابة وموجود في الكلام؛ لأن النبي ﷺ دعا إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بالكلام، ودعا إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالكتابة، والأداة: إما الشريط والفاكس؛ فهذه أمور مباحة، فلا مانع من استخدامها، وأما أداة الفيديو فهي أداة محرمة؛ لِمَا يقوم فيها من الصور، فتمنع لهذا الاعتبار، فلا تتخذ أداةً لنقل هذه الوسائل.

ولا يصح أن يقال: إن الشريط هو الوسيلة -لا عقلًا ولا لغةً- لِمَ؟

لأن الشريط في ذاته لا يمكن أن يكون وسيلة لأي شيء إلا بما يحويه من مادة؛ فإن حوىٰ مادة علمية شرعية فهو ناقل لها، مبلغ لها، مثله مثل الرسل المرسلين من قبل الولاة ونحوهم للدعوة وللتذكير والإرشاد، أما باقي الشريط فلو كان فارغًا وأعطيته أحدًا من الناس فإنه لا يمكن أن ينتفع به الانتفاع الذي وضع الشريط من أجله، فمن هنا هو في ذاته ليس وسيلةً.

➢ كلام نفيس للشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهنا حتىٰ تكتمل الفائدة أسوق كلامًا لشيخ الإسلام في هذا العصر، إمام المسلمين -إمامهم في العلم- الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتكلم عن هذه القضية بكل صراحة ووضوح، وكلامه هو الحق، وكلامه فيه نور الهدىٰ، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «فتاويه» الجزء الأول (صفحة ٤٢٩): «ومن أراد صلاح المجتمع الإسلامي أو صلاح المجتمعات الأخرىٰ في هذه الدنيا بغير الطريق والوسائل والعوامل التي صلح بها الأولون فقد غلط وقال غير الحق، فليس إلىٰ غير هذا من سبيل، إنما السبيل إلىٰ إصلاح الناس وإقامتهم علىٰ الطريق السوي هو السبيل الذي درج عليه نبينا عليه الصلاة والسلام

ودرج عليه صحابته الكرام، ثم أتباعهم بإحسان إلىٰ يومنا هذا، وهو العناية بالقرآن العظيم والعناية بسنة رسول الله ﷺ ودعوة الناس إليهما، والتفقه فيهما، ونشرهما بين الناس عن علم وبصيرة وإيضاح ما دل عليه هذان الأصلان من الأحكام في العقيدة الأساسية الصحيحة.

ومعلوم أن العوامل التي بها صلاح المجتمع الإسلامي وغير الإسلامي هي العوامل التي قام بها إمام المرسلين وخاتم النبيين -عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم- وقام بها صحابته الكرام، وعلىٰ رأسهم الخلفاء الراشدون المهديون: أبو بكر الصديق، وعمر الفاروق، وعثمان ذو النورين، وعلي المرتضىٰ أبو الحسن، ثم مَنْ معهم من الصحابة، رضي الله عن الجميع وجعلنا من أتباعهم بإحسان» هذا كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ، ونصر به الإسلام والسُّنَّة.

إذًا، فتحصل لنا أن علامات أهل البدع ثلاث: الفُرقة، واتباع المتشابه، واتباع الهوىٰ، فوجب أن نحذر ممن تلطخ بهذه الأمور، ومن وقع في دقتها، وهي محاولة ضعيفة لجعل ضابط لأهل البدع.

➢ تنبيه على أمرين عظيمين مهمين:

إذا عُرِفَ هذا وتبين فإنني أحب التنبيه على أمرين عظيمين مهمين:

➢ الأمر الأول: الحذر من المبتدعة وإن كانوا ذوي دين وعبادة:

الأمر الأول: يجب ألا ننخدع بالمبتدعة ولو كانوا ذوي دين وعبادة، ولو كانوا دعاةً إلى الإسلام.

وقد سبق وأن كررت هذا الأمر وبينته ووضحته، ولكن تكراره إنما كان لشدة الحاجة إليه، ولقلة البصيرة في هذا الأمر من كثير ممن ينتسب إلى الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ في هذا الزمن؛ فقد قال الشيخ العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد ابن عبد الوهاب -رحمة الله على الجميع- في رسالة له إلى ابن عجلان، وقد ارتضى ابن عجلان في بعض العساكر التركية، وذكر أنهم على دينٍ صلاحٍ، ونحو ذلك، فرد عليه الشيخ عبد اللطيف، فقال -كما في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية»:

«وكذلك ما زعمته من أن أكابر العسكر أهل تعبد، أو

نحو هذا، فهذه دسيسة شيطانية -وقاك الله شرها وحماك حرها- ولو سلم -يعني هذا الأمر أنهم أهل تعبد- تسليمًا جدليًّا، فابن عربي وابن سبُعين وابن الفارض لهم عبادات وصدقات ونوع تقشف وتزهد، وهم أكفر أهل الأرض، أو من أكفر أهل الأرض»، انتهىٰ كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ.

إذًا هذه الأمور لا تبرر محبتنا لأهل البدع؛ لأنهم أهل بدع، فوصفهم بالابتداع موجب لنا أن نبتعد عنهم، ويحتم علينا أن نفارقهم، بل وأن نابذهم وأن نصرح بسبهم وشتمهم وعيبهم والتحذير منهم.

➢ الأمر الثاني: الحذر من منهج الوسطية المزعومة:

الأمر الثاني: الحذر كل الحذر من هذا المنهج الفاسد الذي بدأ رأسه يطل علينا، وهو منهج الوسطية المزعومة، فهناك الآن من يقول: آتي إلىٰ أهل السُّنَّة أو آتي إلىٰ السلفيين فآخذ ما عندهم من علم، وآتي إلىٰ أهل البدعة أو آتي إلىٰ الأحزاب الثانية غير السلفية فآخذ ما عندهم من علم.

وهذا الرجل قد سُئل عنه إمام من أئمة المسلمين،

فأجاب بجوابٍ كافٍ شافٍ، فقد سئل الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن رجل يقول: «أنا أجالس أهل السُّنَّة، وأجالس أهل البدع»، فقال الأوزاعي: «هذا رجل يريد أن يساوي بين الحق والباطل»، قال ابن بطة في «الإبانة» تعليقًا علىٰ كلام الأوزاعي: «صدق الأوزاعي، أقول: إن هذا رجل لا يعرف الحق من الباطل، ولا الكفر من الإيمان»(١).

فالحذرَ الحذرَ من الجلوس مع أهل البدع، والحذرَ الحذرَ من الاغترار بما عندهم من العلم، فإن ما عند أهل السُّنَّة أكثر وأنقىٰ بإذن الله تعالىٰ.

وليعتبر أصحاب هذا المنهج البائس بأمثال عمران بن خطان الذي تزوج ابنة عمه؛ وكانت خارجية؛ قاصدًا إصلاحها وهدايتها، فأهلكته وصيرته من غلاة الخوارج.

وليعتبروا بابن عقيل الحنبلي الذي قال: «كان أصحابنا الحنابلة يريدون مني هجران جماعة من العلماء، وكان ذلك يحرمني علمًا نافعًا»، هكذا يقول ابن عقيل عفا الله عنه.

---

(١) «الإبانة الكبرىٰ» لابن بطة (٢/ ٤٥٦) (٤٣٠).

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلقًا على هذا الكلام: «كانوا ينهونه عن مجالسة المعتزلة، ويأبىٰ حتىٰ وقع في حبائلهم، وتجسَّر علىٰ تأويل النصوص -نسأل الله السلامة». انتهىٰ كلام الذهبي(١).

فهذه عاقبة منهج الوسطية المزعومة التي لم تُبْنَ علىٰ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومنهج سلف الأمة -رحمة الله تعالىٰ عليهم أجمعين.

وأُتَوِّجُ هذه الكلمة بكلامٍ لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولا شك أنه سوف يُغْضِبُ كثيرًا من الناسِ الذين يقولون عائبين علينا: لِمَ هذا الكلام في المبتدعة؟! لِمَ تتركون أصحاب المنكرات؛ أصحاب الخمر، وأصحاب... وأصحاب...(٢)، وتتوجهون إلىٰ المبتدعة؟! ومع أننا -ولله الحمد- لم نترك هؤلاء، ولن نتركهم، فخطبنا تشهد بإنكارنا عليهم، ولكننا سوف نجعل الكفل الأكبر في منابذة أهل البدع وفي القضاء عليهم حتىٰ يطفئ الله عَزَّوَجَلَّ نورهم، ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ الإعانة والتوفيق.

(١) «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (١٩/ ٤٤٧).

(٢) يقصد الشيخ أصحاب المعاصي المختلفة، من أصحاب الشهوات والكبائر؛ من الزنا والربا والعقوق والقذف، وغير ذلك.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ كما في «المدارج»: «ولهذا اشتد نكير السلف والأئمة لها[1] وصاحوا بأهلها من أقطار الأرض، وحذروا فتنتهم أشد التحذير، وبالغوا في ذلك ما لم يبالغوا مثله في إنكار الفواحش والظلم والعدوان؛ إذ مضرة البدع وهدمها للدين ومنافاتها له أشدُّ» اهـ[2].

☆☆☆

(١) أي: البدعة، [عبد السلام بن برجس].

(٢) «مدارج السالكين»، لابن القيم، (١/ ٣٧٢).



الفهرس

☆☆☆

منهاج أهل الحق والاتباع

في مخالفة أهل الجهل والابتداع

تأليف
فضيلة الشيخ
عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم



السنة والبدعة

وأثرهما في الأمة

تأليف
فضيلة الشيخ
عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم

دار المنهاج

تصنيف الناس

أو

الرد على منكري التصنيف

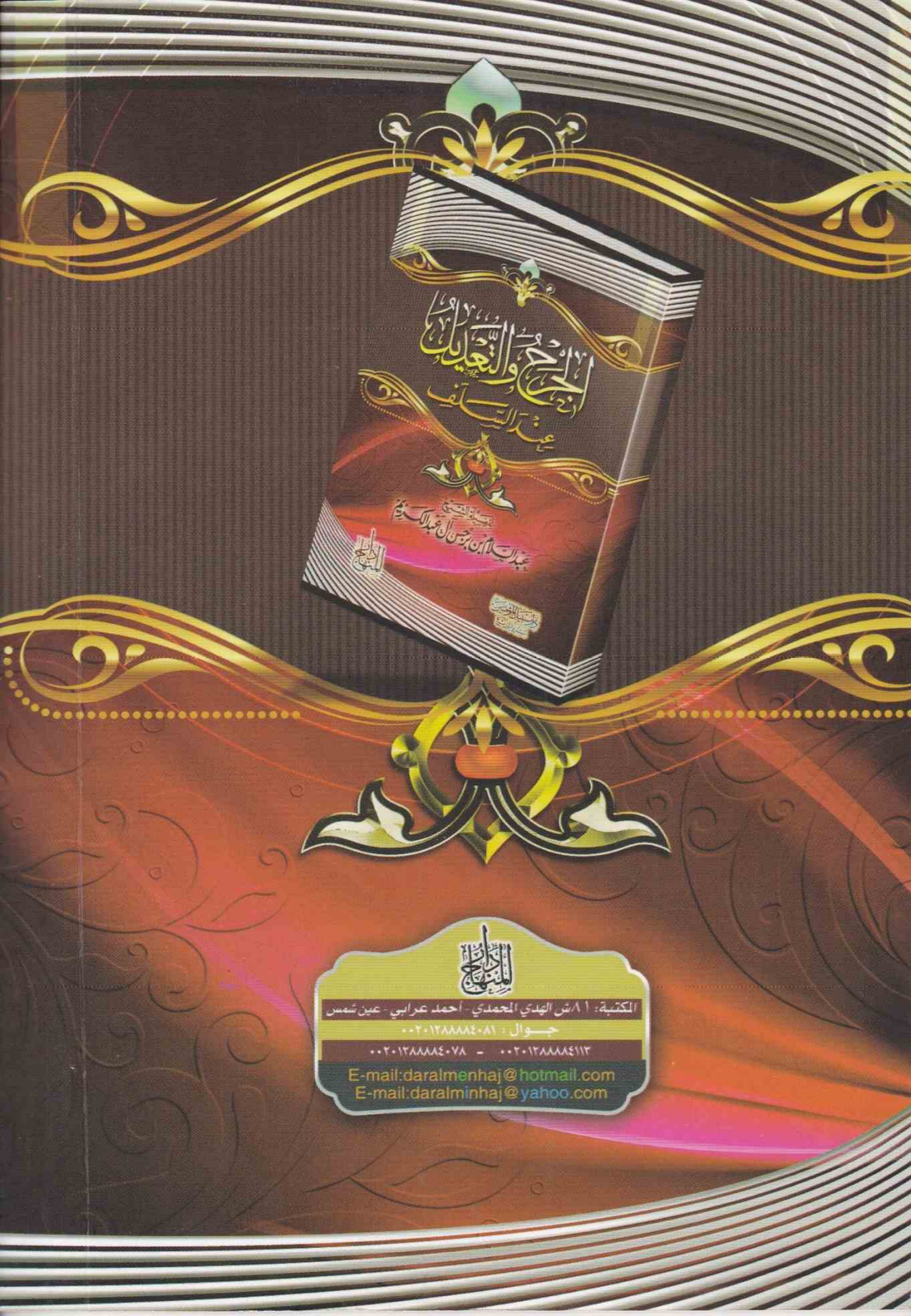
تأليف
فضيلة الشيخ
عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم

دار المنهاج

أصول الدعوة السلفية

تأليف
فضيلة الشيخ
عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم

دار المنهاج



الجرح والتعديل
عند السلف
عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم
دار المنهاج
الكتبة: ٨١ش الهدي المحمدي - أحمد عرابي - عين شمس
جوال: ٠٠٢٠١٢٨٨٨٨٤٠٨١
٠٠٢٠١٢٨٨٨٨٤١١٣ - ٠٠٢٠١٢٨٨٨٨٤٠٧٨
E-mail:daralmenhaj@hotmail.com
E-mail:daralminhaj@yahoo.com